

تفسير البحر المحيط

@ 501 @ أقل ولا أحقر ولا أصفر في يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رأى يوم بدر قيل : وما رأى يا رسول الله قال : رأى الملائكة يريها جبريل ، وقال الحسن : رأى إبليس جبريل يقود فرسه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم) وهو معتجر ببردة وفي يده اللجام ولكم ليس متعلقاً بقوله : لا غالب لأنه كان يلزم تنوينه لأنه يكون اسم لا مطولاً والمطول يعرب ولا يبنى بل لكم في موضع رفع على الخبر أي كائن لكم وبما تعلق المجرور تعلق الظرف واليوم عبارة عن يوم بدر ويحتمل أن يكون قوله وإني جار لكم معطوفاً على لا غالب لكم اليوم ويحتمل أن تكون الواو للحال أي لا أحد يغلبكم وأنا جار لكم أعينكم وأنصركم بنفسي وبقومي والفئتان جمعاً المؤمنين والكافرين ، وقيل فئة المؤمنين وفئة الملائكة نكص على عقبه رجع في ضد إقباله وقال : إني بريء منكم مبالغة في الخذلان والانفصال عنهم لم يكتف بالفعل حتى أكد ذلك بالقول ما لا ترون رأي خرق العادة ونزول الملائكة إني أخاف الله ، قال قتادة وابن الكلبي معذرة كاذبة لم يخف الله قط ، وقال الزجاج وغيره : بل خاف مما رأى من الهول إنه يكون اليوم الذي أنظر إليه انتهى وينظر إلى هذه الآية قوله تعالى { كَمْ تَدْرِكُونَ } الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ { ويحتمل أن يكون وإني شديد العقاب معطوفاً على معمول القول قال : ذلك بسطاً لعذره عندهم وهو متحقق أن عذاب الله شديد ويحتمل أن يكون من كلام الله استأنف تهديداً لإبليس ومن تابعه من مشركي قريش . . { إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ } ، العامل في إذ زيّن أو نكص أو سمع عليهم أو اذكروا أقوال وظاهر العطف التغاير . فقليل المنافقون هم من الأوس والخزرج لما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم) قال بعضهم : نخرج معه ، وقال بعضهم : لا نخرج غرّ هؤلاء أي المؤمنين دينهم فإنهم يزعمون أنهم على حق وأنهم لا يغلبون هذا معنى قول ابن عباس ، والذين في قلوبهم مرض قوم أسلموا ومنهم أقرباؤهم من الهجرة فأخرجتهم قريش معها كرهاً فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم فقتلوا جميعاً ، منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمة بن الأسود وعلي بن أمية والعاصي بن منبه بن الحجاج ولم يذكر أن منافقاً شهد بدرًا مع المسلمين إلا معتب بن قشير فإنه ظهر منه يوم أحد قوله : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ، وقيل والذين في قلوبهم مرض هو من عطف الصفات وهي لموصوف واحد وصفوا بالنفاق وهو إظهار ما يخفيه من المرض كما قال تعالى في قلوبهم مرض وهم منافقوا المدينة ، وعن الحسن هم المشركون ويبعد هذا إذ لا يتّصف المشركون

بالنفاق لأنهم مجاهرون بالعداوة لا منافقون ، وقال ابن عطية ، قال المفسرون : إن هؤلاء الموصوفين بالنفاق ومرض القلوب إنما هم من أهل عسكر الكفار لما أشرفوا على المسلمين ورأوا قلة عددهم قالوا مشيرين إلى المسلمين غر هؤلاء دينهم أي اغترّوا فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به وكذّبوا بالقلوب عن العقائد والمرض أعم من النفاق إذ يطلق مرض القلب على الكفر . .

{ وَمَنْ يَتَذَوَّكَ لِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَكُ مِنَ الْغَالِبِينَ } هذا يتضمن الرد على من قال غر هؤلاء دينهم فكأنه قيل هؤلاء في لقاء عدوهم هم متوكلون على الغالبين ، ومن يتوكل على الله ينصره ويعزّزه فإن الله عزيز لا يغالب بقوة ولا بكثرة حليم يضع الأشياء مواضعها أو حاكم بنصره من يتوكل عليه فيديل القليل على الكثير . { وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَذَوَّفُ الْكَاذِبِينَ كَمَا كَفَرُوا وَالْمُؤْمِنِينَ كَمَا يُضَرَّبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَوْدَاجُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَسْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتُمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بَاطِلٌ لِّالْعَالَيْنِ } . لو التي ليست شرطاً في المستقبل تقلب المضارع للمضي فالمعنى لو رأيت وشاهدت وحذف جواب لو جاز بليغ حذفه في مثل هذا لأنه يدل على التعظيم أي لرأيت أمراً عجيباً وشأناً هائلاً كقوله ولو